﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ٣٤ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ٣٥﴾ [غافر: 34 - 35]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

بيانُ عادَتِهم في الشَّكِّ مِمّا جاء به الأنبياءُ عليهم السلام

لَمّا كان حاصلُ ما تقدّم مِن حالِهم في أمرِ موسى عليه السلام أنَّه جاءهم بالبَيِّنات، فارْتابوا وشَكّوا فيها، وخُتِمَ ذلك بتَحْذيرِهم مِن عذابِ الدُّنيا والآخرة؛ أعْقَبَهُ ببَيان ما كانَ عليه آباؤُهُم مِنَ الشَّكِّ في مِثْلِ هَذا، فقالَ سُبحانه: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ﴾؛ مُبَيِّنًا أنَّهم مُسْتَحِقّون للعذابِ، ليَكونَ ذلك حثًّا لَهُم عَلى شُكْرِ نِعْمَةِ اللّه تعالى في إمْهالِه إيّاهُم، وتَحْذيرًا مِن نِقْمَةِ اللّه سبحانه إن تَمادوا في باطِلِهم[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: (بين) تدلُّ تصاريفُها على بُعْدِ شَيْءٍ وانكشافِه[2]، ومِنَ الانكشافِ قولُهم: بانَ الشَّيءُ؛ إذا اتَّضَحَ[3]، وتبيَّنَ؛ إذا ظَهَر[4]. والبيِّنَةُ: الدّلالة الواضحةُ، عَقْليَّةً كانَت أو حسّيَّةً[5]، والبيِّناتُ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ معناها: الحُجَجُ الواضحةُ المُظهرةُ أنَّ يوسف عليه السلام مختارٌ مِن عندِ اللّهِ تعالى للإرشادِ إلى الخَيْرِ[6].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 64.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (بين).
(3) الجوهريّ، تاج اللُّغة: (بين).
(4) الزَّبيديّ، تاج العروس: (بين).
(5) الرّاغب، المفردات: (بين).
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 138.

2) ﴿شَكٍّ﴾: (شك) تدلّ اشتقاقاتُها على التّداخل، ومن ذلك قولهم: شككتُه بالرُّمح؛ أي: طعنتُهُ به، فداخلَ السِّنانُ جسمَهُ، ومِنْه أيضًا: الشَّكُّ؛ وهو ضِدُّ اليقين، وإنَّما سُمّيَ بِذلِكَ لِأنَّ الشّاكَّ كَأَنَّهُ شُكَّ لَهُ أمرانِ في مَشَكٍّ واحِدٍ، وهوَ لا يَتَيَقَّنُ واحِدًا مِنْهُما[1]. والشَّكُّ في قول الله تعالى: ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ﴾ هو ضدُّ القطعِ واليقينِ، وقد يُطلق على نوعٍ خاصٍّ منه، وهو استواء طرفَي التَّجويزِ؛ فيكون الشَّكُّ: إدراكَ الشَّيء مع احتمالِ ضدٍّ مساوٍ[2].

3) ﴿مُسْرِفُ﴾: (سرف) تدُلُّ اشْتِقاقاتُها على تَعَدّي الحدِّ ومُجاوَزَته، ومِنْهُ قولُهُم: في الأمْرِ سَرَفٌ، أي: مجاوزَةٌ للقَدْر[3]. والسَّرف عامٌّ في كُلِّ فِعْلٍ يُجاوِزُ بِهِ الإنسانُ الحَدَّ، واشْتَهَر إطلاقُهُ في الإنْفاقِ. والإسرافُ في قولِ الله تَعالى: ﴿مُسْرِفُ مُّرْتَابُ﴾ هو الشِّرك، فالمُسْرِف: المُشْرِك[4]؛ لِمُجاوَزَتِه الحدَّ في أعظم حقٍّ، وهو حقُّ اللهِ تَعالى.

4) ﴿مُّرْتَابُ﴾: (ريب) تَدُلُّ اشْتِقاقاتُها على شَكٍّ مَعَ تُهْمَةٍ[5]، ويُطلق الرَّيبُ على الشَّكِّ معَ خوفٍ، يُقال: رابَهُ الأمْرُ؛ إذا أدْخَلَ عَلَيْهِ شَكًّا وخَوْفًا[6]، وأصلُ الرَّيْبِ: "أنْ يَنْزِلَ بالقارِّ السّاكنِ ما يُزْعِجُه ويَسوؤُه"[7]. والمُرتاب: الشّاكُّ؛ وفي قولِ الله تعالى: ﴿مُسْرِفُ مُّرْتَابُ﴾ معناه: الشّاكُّ فيما جاء بِهِ الأنبياءُ عليهم السلام[8].

5) ﴿مَقْتًا﴾: (مقت) تدورُ تَصْريفاتُها على الشَّناءَةِ والقُبح[9]، ومِنهُ: المَقْتُ؛ وهو أشَدُّ البُغْض[10]. ومِن هذا المعنى المَقتُ الواردُ في قولِ الله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّـهِ﴾؛ إذْ هو شِدَّة البُغْضِ[11].

6) ﴿يَطْبَعُ﴾: (طبع) تدلُّ اشْتِقاقاتُها على مَثَلٍ في نهايةٍ ينتهي إليها أمرٌ ما حتّى يُختَم

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (شك).
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 98، وابن عثيمين، الأصول من علم الأصول، ص: 16.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سرف).
(4) الواحديّ، التّفسير الوجيز، ص: 945.
(5) ابن دُريد، جمهرة اللّغة: 1/ 332، والعسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 264.
(6) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: 2/ 463.
(7) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصَّل: 2/ 742.
(8) الواحديّ، التّفسير الوجيز، ص: 945.
(9) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مقت).
(10) ابن سيده، المحكم، والزّبيديّ، تاج العروس: (مقت).
(11) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 143.

عندها، يقال: طبعتُ على الشّيء طابَعًا، ثمّ يُحمل عليه، فيُقال: طَبْعُ الإنسانِ؛ وهي سجيَّتُهُ. ومن هذا الباب قولُهم: طبعَ اللّهُ على قلبِ الكافر، كالوارد في قول الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾، كَأَنَّهُ خَتمَ عَلَيْهِ فلا يَصلُ إليه هُدًى ولا نورٌ، ولا يوَفَّقُ لِخَيْرٍ[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ضَلالُ المُكابِرينَ في آيـاتِ اللـهِ تَعالى

بيَّن اللّهُ سُبْحانَه توبيخَ الرَّجلِ المؤمن لقَوْمِه قائلًا لَهُم: ولقد أرسلَ اللّهُ سُبحانَهُ إليكم النَّبيَّ الكريمَ يوسُفَ عليه السلام من قَبْلِ موسى عليه السلام، بالأدلَّةِ الظّاهرةِ على صِدْقِه، وأمَرَكُم بعبادةِ اللّهِ تَعالى وحدَهُ، فَما زِلْتُم مُرْتابينَ مِمّا جاءَكُم به في حياتِه، حَتّى إذا ماتَ؛ ازْدادَ شَكُّكُم وشِرْكِكُم، وقلتُم: إنَّ اللّهَ تَعالى لَن يُرْسِلَ رَسولًا بعدَهُ. مِثْلُ ذلك الضَّلالِ يُضِلُّ اللّهُ تَعالى كُلَّ مُتجاوِزٍ للحَقِّ، شاكٍّ في وحدانيَّةِ اللّه سُبحانَهُ، فلا يوَفِّقهُ إلى الهدى والرَّشاد.

الذين يُخاصِمون في آيات اللّهِ عزّ وجلّ وحُجَجِه لدَفْعِها مِن غير أن يكون لَدَيْهِم حُجَّةٌ مقبولَةٌ، كَبُر ذلك الجِدالُ مَقْتًا عندَ اللّهِ تَعالى وعند الذين آمَنوا، كما خَتَم بالضَّلال وحَجَبَ عن الهدى قلوبَ هؤلاء المُخاصِمين؛ يَخْتِمُ اللّهُ تعالى على قلبِ كُلِّ مُسْتَكْبِرٍ عن توحيدِ اللّه سُبحانَهُ وطاعَتِه، جَبّارٍ بكثرَةِ ظُلْمِه وعُدْوانِه[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالَةُ الواوِ في ﴿وَلَقَدْ﴾:

اشْـــــتِراكُ الـجُـمْـلَـتَـيْنِ في غَرَضِ الوَعْظِ

الواوُ في ﴿وَلَقَدْ﴾ من قولِ اللّه عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ عاطفةٌ الجملةَ بعدَها على الآيةِ قَبْلَها ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ [غافر: 33]؛ فتكونُ من تمام مَوْعِظَة مُؤْمِن آل فِرْعَون، فالعطف هو لاشْتِراكِ الجُمْلَتَيْن في الخبريَّةِ، وبينَهُما

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (طبع).
(2) نخبة من أساتذة التفسير، التّفسير الميسّر، ص: 471.

مُناسبَةٌ لَفْظيَّة ومعنويَّة؛ أمّا اللَّفظيَّة فاتِّحادهما في الفعليَّةِ، وأمّا في المَعْنى؛ لاشْتراكِهما في غرَضِ الوعظِ. ويَحْتَمِلُ أن تكونَ الواوُ استئنافيَّةً، والجملةُ بعدَها مستأنفَة استئنافًا نحويًّا، إذا حَمَلْنا لفظَ الآيةِ على كونِه من كلام موسى ﷺ[1]. والأوَّل أظهَرُ؛ لأنَّه أوفقُ لِسياقِ الآياتِ الكريمَةِ.

نُكْتَةُ التَّوْكيدِ بِاللّامِ و(قَدْ):

التَّرَقّي في الوَعْظِ مِنَ النُّصْحِ إلى التَّذْكيرِ بِتَكْذيبِ الأنْبياءِ

صُدِّرت الجملَةُ بتأكيداتٍ ثلاثةٍ: اللّام المُوَطِّئة للقَسَم، والقَسَم المحذوفِ، و(قَد) التَّحقيقيَّة؛ وذلكَ لأنَّ مؤمنَ آلِ فرعونَ توسَّمَ في المُخاطبين قِلَّة جَدْوى نُصْحِهم، وأنَّهم مُصِرّون على تَكْذيبِ نَبيِّ اللّهِ تعالى موسى ﷺ، فتَرَقَّى في وعْظِهم إلى اللَّوْمِ على ما مَضى، ولتَذْكيرِهم بأنَّهُم من ذُرِّيَّة قومٍ كذَّبوا نبيَّ الله تعالى يوسُفَ ﷺ لَمّا جاءَهُم بالأدِلَّة والحُجَج، فتَكْذيب المُصْلحينَ عادةٌ مَعْروفَةٌ في أسْلافِهم، فَتَكونُ طَبْعًا فيهِم، ولذا أُكِّد الخبَرُ بِهَذِهِ المُؤَكِّدات؛ تحقيقًا للخَبَر؛ إذْ هُم مَظِنَّة إنْكارِه؛ لبُعْدِ عَهْدِهم به[2].

دِلالَةُ الخِطابِ في الأفْعالِ: ﴿جَآءَكُمْ﴾ و﴿فَمَا زِلْتُمْ﴾ و﴿قُلْتُمْ﴾:

تَخميلُهُمْ تَبِعَةَ تَكْذيبِ أسْلافِهِمْ

عُدّيت الأفعالُ ﴿جَآءَكُمْ﴾ و﴿فَمَا زِلْتُمْ﴾ و﴿قُلْتُمْ﴾ إلى ضَميرِ الخِطاب، وهُم ما كانوا مَوْجودينَ وقْتَ الخِطاب؛ وذلكَ لِغَرَضِ حَمْلِ تَبِعَةِ أسْلافِهِم عَلَيْهِم، وتَسْجيلًا عَلَيْهِم بأنَّ تكذيبَ النّاصِحينَ واضْطِرابَ عُقولِهِم في الانْتِفاع بأدِلَّة الصِّدْقِ قَد ورِثوهُ عَن أسلافِهِم في طَبائِعِهِم، وقَد تَرَسَّخ في نُفوسِهِم[3].

بَلاغَةُ الاسْتِعارَةِ في ﴿جَآءَكُمْ﴾:

التَّصْويرُ البَلاغيُّ لِظُهورِ البَيِّناتِ

المجيءُ الذي دلَّ عليهِ الفِعْلُ ﴿جَآءَكُمْ﴾ مِنْ قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ هو من باب المجازُ العقليّ

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 8/ 484.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 138.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 141.

أو الحُكميّ في إسناده ليوسُف ﷺ؛ لكونه السّببَ في ظهور هذه البيّنات على يديه، وإلّا فإنّ الله تعالى هو الذي أيّده بهذه البيّنات. وإمّا أنّه مُسْتَعارٌ للحصولِ والظُّهور، والمَعْنى: ولَقَدْ ظَهَرَ لَكُم يوسُفُ بِالبيِّناتِ[1]، فالاسْتِعارَةُ تَصريحيَّةٌ تبعيَّة، حيثُ شبّه الظّهورَ بالمَجيء، بجامع التّحقّق، وفيها تَصْويرٌ بديعٌ لظُهور البيِّناتِ في صورَةِ شَخْصٍ يَحْمِلُ رسالَةً عظيمةً؛ مِمّا يُضْفي على النَّصِّ قوَّةً في التَّأثير، ووَقْعًا في النُّفوسِ.

نُكْتَةُ تذكيرِه لهم بيوسفَ ﷺ:

الـحَـثّ على الاستـجـابـة لـدعـوة مـوسى ﷺ

ذكّرهم بيوسفَ ﷺ تحديدًا دون غيره من الأنبياء؛ لأنّهم يعرفونه في تاريخهم المحفوظ، ويعرفون قصّته، حيثُ ارتبط اسمُه بالقَحْط الذي حذّرهم منه، والذي أصاب مصر في ذلك الوقت، وارتبط اسمُه كذلك بالفرج الذي أصابهم على يديه، فحفظ الله على يديه البلادَ والعِباد من هلاكٍ مُحقّقٍ، فارتبط اسمُه بأحداث عظيمة، وفترةِ ازدهار عاشتها مصرُ في عهده، وإنّ من شأن هذا التّذكير لهم به أن يُحفّزَهم على اتّباع موسى ﷺ؛ لأنّه من نفس المشكاة التي خرج منها يوسفُ ﷺ.

مَعْنى ﴿مِن﴾، ودِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالظَّرْفِ ﴿قَبْلُ﴾:

المُـبـالَـغَـةُ في العِتابِ والتَّوْبيخِ

جاء التَّنصيص على القَبْليَّة في قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ مع أنَّ كونَ يوسفَ ﷺ قبلُ أمْرٌ ظاهرٌ؛ وذلك للمُبالغَةِ في العِتاب والتَّوبيخ بتَذْكيرِهم بأنَّ التَّكذيبَ لَيْسَ جديدًا حادِثًا، بَل هو مُتَجَذِّر فيهم؛ إذِ التَّكذيب دَيْدَنُ آبائِهم مِن الأنبياءِ السّابقينَ. ولَمّا لم يكن مَجيئُه مُسْتَغْرقًا ما سبقَ موسى ﷺ مِن الزَّمان؛ أُدْخِلَ حرفُ الجرِّ ﴿مِن﴾، فقال سُبحانَهُ: ﴿مِن قَبْلُ﴾[2].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 138.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 64.

مَعْنى الباءِ في ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾:

ظُهورُ البَيِّناتِ أدْخَلُ في الإنْكارِ عَلى مُكَذِّبيها

الباءُ في ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ مِن قول اللّهِ تَعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ للمُصاحَبَةِ والمُلابسَة[1]، والمَعْنى: أنَّ يوسُف عليه السلام قَد ظهر لَكُم مُلابسًا بالبَيِّناتِ مَصْحوبًا بها، والمقصودُ: بيانُ أنَّهم حالَ تَكْذيبِهم إيّاهُ كان مَصْحوبًا بِما يدُلُّ على صِدْقِه، وهَذا يُقَوّي لَوْمَهم وذَمَّهم على تَكْذيبِهم.

مَعْنى (أل) في (البَيِّناتِ):

اسْتِحْقاقُ التَّوْبيخِ في تَكْذيبِ البَيِّناتِ الواضِحَةِ

(أل) في (البَيِّنات) مِن قول اللّه سُبْحانَهُ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ دالَّة على الكَمالِ؛ أي: أنَّ يوسُفَ عليه السلام ظَهَر مَصْحوبًا بالبَيِّنات الواضِحاتِ غايةَ الوُضوحِ في دلالَتِها عَلى الحقِّ، البالغةِ أعلى مَراتِب البيانِ، وهذا يَقْتَضي اسْتِحْقاقَ التَّوبيخِ والذَّمِّ لكُلِّ مَن لَم يُؤْمِن بِها، فالتّعريفُ للبيّنات في هذا الموضع هو تعريفٌ ذهنيٌّ حُضوريٌّ، وهو يعود على الدّلائل المعروفة التي جاء بها يوسفُ عليه السلام آباءَهم مِن قبلهم.

دلالَةُ التَّعْبيرِ بِـ(البَيِّناتِ) مادَّةً وصيغَةً:

بيانُ وفْرَةِ الأدِلَّةِ وكَثْرَةِ أصْنافِها

جاء التَّعبيرُ بالبَيِّنات في قولِ اللّه تَعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ لِجَمْعِها بينَ قوَّة المادَّة وسَعَةِ الصّيغةِ؛ إذْ إنَّ مادَّة الباءِ والياءِ والنّون تدلُّ على الوُضوح والتَّمييز بَيْنَ الأشياءِ، وهَذا يدُلُّ عَلى أنَّ الأدِلَّة التي تُثْبِتُ صِدْقَ رسالَةِ يوسُف عليه السلام جليَّةٌ قويَّة، فاصلةٌ بينَ الحقِّ والباطلِ. وعُبِّر بصيغةِ الجمعِ؛ للإيماءِ إلى وفْرَةِ الأدلَّةِ وكثرة أنواعِها، مِمّا يدُلُّ على شموليَّتِها وإحْكامها، تأكيدًا لصدقِ رسالَةِ يوسُف عليه السلام، ومبالغةً في توبيخِ المُكَذِّبين به.

الموقِعُ النّحويّ لقوله: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾:

شِبهُ الجملة هنا في محلّ جرّ صفة لموصوف محذوف، إذ إنّ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 138.

تقدير الكلام: ولقد جاءكم يوسف من قبل بالآيات البيّنات، فَحُذفَ الموصوف وأُقيمت الصّفة مقامه؛ وذلك للدّلالة على أنّ هذه الصّفة باتت عيْن الموصوف.

حُـذفَ الموصوف وأُقيمت الصّفة مقامه

معنى الفاءِ في ﴿فَمَا زِلْتُمْ﴾:

الفاءُ في ﴿فَمَا﴾ من قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾ عاطفةٌ، وهي دالَّةٌ على التَّعْقيبِ بلا مهلةٍ، وهذا مُشْعِرٌ بمُبادَرَتِهم إلى التَّكذيبِ واسْتِمْرارِهم عليهِ من غَيْرِ نَظَرٍ في الأدِلَّة المُتَكاثِرَةِ ولا تَأمُّلِها.

الـعَـمـى عـنِ النَّظَرِ في البَيِّنَاتِ مَعَ كَثْرَتِها

بلاغةُ المَجازِ في قوله: ﴿فِي شَكٍّ﴾:

﴿فِي﴾ حرفٌ دالٌّ على الظَّرفيَّة المجازيّة، وهو في قولِ اللّه تَعالى: ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾ يُفيد انْغماسَهُم في الشَّكِّ، حتّى صار هذا الشَّكُّ كأنَّه مكانٌ مُحيط بِهِم، مِمّا يَقْتَضي سَطْوَةَ الشَّكِّ عليهم، وعَجْزِهِم عنِ الخُروج منهُ إلى اليَقين، كإحاطة الظّرف بالمظروف، على سبيل الاستعارة التّبعيّة في الحرف.

بَيانُ انْغِماسِهِمْ فـي الـشَّـكِّ والتَّكْذيبِ

نُكْتَةُ تَنْكيرِ ﴿شَكٍّ﴾:

نُكِّر لفظُ ﴿شَكٍّ﴾ من قولِ اللّه تَعالى: ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾؛ تَعْظيمًا للشَّكِّ المانِعِ لَهُم من قَبولِ الحقِّ والإقرارِ بِهِ وتهويلًا لَهُ، ويجوز أن يكونَ التَّنكيرُ لإرادَةِ النَّوع، أي: أنَّهم كانوا في نوعٍ غريبٍ مِنَ الشَّكِّ، مخالِفٍ ما عُهِدَ من أنواعِ الشُّكوك؛ وذلكَ لِفَظاعَتِه وشَناعَتِه.

فَـظَـاعَـةُ الـشَّـكِّ الذي كانوا عليه

مَعْنى (مِنْ) و(ما) في قَوْلِهِ: ﴿مِّمَّا﴾:

(مِنْ) في ﴿مِّمَّا﴾ من قولِ اللّه تعالى: ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾ حرفٌ دالٌّ على السَّبَبيَّة، والمعنى: أنَّ مجيءَ الحقِّ مصحوبًا بالأدِلَّة الواضِحَةِ كانَ سَبَبًا في وُقوعِ هؤلاءِ في الشَّكِّ والرَّيْب، وهذا دليلُ عنادٍ واستكبارٍ؛ لا بسببِ خَفاءِ الحقِّ؛ إذْ أدلَّتُهُ

بَـيـانُ عِـظَـمِ عِـنـادِهِـمْ واسْتِكْبارِهِمْ

ظاهِرَةٌ غايةَ الظُّهور. و(ما) في ﴿مِّمَّا﴾ اسمٌ موصولٌ بِمَعْنى: الذي؛ أي: فَما زِلْتُم في شَكٍّ مِنَ الذي جاءَكُم به، وهو يَدُلُّ على العُموم، أي: صدرَ مِنْكُمُ الشَّكُّ في مُقابِل جميعِ ما جاءَ بِهِ، فَلَم تَقْبَلوا منهُ شيئًا، وهذا مِنْكُم في غايَةِ العِنادِ والانْحِراف.

المَوْقِعُ النَّحْويُّ لِـ ﴿جَآءَكُم﴾:

التَّنْصيصُ على مَحَلِّ شَكِّهِمْ وهو الوَحْيُ

﴿جَآءَكُم﴾ من قولِ اللّه تَعالى: ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾ صلةٌ لـ (ما) لا محلَّ لَها مِنَ الإعراب، وفي جُمْلَةِ الصِّلة تَخْصيصٌ للمَعْنى؛ بحيثُ يُبْرِزُ محلَّ شَكِّهم وهوَ الوحيُ ذاتُهُ، وهذا يَقْتَضي تكذيبَهُم بِهِ مِن كُلِّ مَن جاءَهُم بِهِ.

نُكْتَةُ تَكْريرِ فِعْلِ المَجيءِ:

إعْراضُهُمْ عنِ الحَقِّ وصاحِبِهِ موجِبٌ لَوْمَهُمْ وذَمَّهُمْ

كُرِّر فِعلُ المَجيء (جاءَكُمْ) في قولِ اللّه تَعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾؛ للتَّأكيدِ عَلى وُصولِ الحقِّ لَهُم؛ بحيثُ تَحَقَّق مَجيءُ الرَّسولِ إليهم، وتحَقَّق مجيءُ رِسالتِهِ، مِمّا يَسْتَلْزِمُ اسْتِحْقاقَهُم اللَّومَ والذَّمَّ على إعْراضِهِم عنِ الحقِّ وصاحِبِه.

مَعْنى الباءِ في ﴿بِهِۦ﴾:

بَيانُ اخْتِلافِ المَجيئَيْنِ

الباءُ في ﴿بِهِۦ﴾ من قولِ اللّه تَعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾ تدلُّ على المُصاحبَة - على ما هوَ الأصلُ فيها - ، وذلك للتَّنصيصِ عَلى أنَّ المَجيءَ الثّاني لا يُراد به المَجيءُ الأوَّل، وهو مجيءُ يوسُفَ عليه السلام، وإنَّما هو ما جاءَهُم بِهِ مِنَ البَيِّنات والأدِلَّة الدّالَّة على الحقِّ؛ إذْ لو جاءَ النَّظم القرآنيُّ: (فَما زِلْتُم في شَكٍّ ممّا جاءكم) مِنْ غَيْرِ (بِهِ)؛ لتوُهِّم أنَّ (ما) مصدريَّةٌ، وأنَّ المعنى: فَما زِلْتُم في شكٍّ مِنْ مَجيئِهِ إيّاكُم، فيكونُ المَعْنى مُكَرَّرا.

نُكْتَةُ إفْرادِ الضَّميرِ في ﴿بِهِۦ﴾ وتَذْكيرِه:

التَّكْذيبُ بِشَيْءٍ مِـنَ البَـيِّـناتِ تَكْذيبٌ بِها كُلِّها

أُفرد الضَّمير وذُكِّرَ في ﴿بِهِۦ﴾ من قولِ اللّه تَعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ﴾؛ لِرُجوعِهِ إلى الاسْمِ المَوْصولِ (ما) من ﴿مِّمَّا﴾، فَروعيَ لفظُهُ دون معناهُ، ولو جاءَ على المَعْنى؛ لكانَ النَّظْمُ القُرآنيُّ: (مِمّا جاءكُم بِها) أي: البَيِّناتِ. وفي إفرادِ الضَّمير إيماءٌ إلى أنَّ البيِّناتِ تُحَقِّق هدفًا واحدًا، فكانَ التَّكذيبُ بِشَيْءٍ مِنْها تكذيبًا بِها جميعِها.

مَعْنى ﴿حَتَّىٰٓ﴾ ودِلالَتُها:

اسْتِمْرارُهُمْ عَلى الشَّكِّ ودَوامُهُمْ عَـلى البـاطِـلِ والعِنادِ

﴿حَتَّىٰٓ﴾ في قول اللّه تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ حرفٌ دالٌّ على الغايةِ، وغايتُها هو مَضْمونُ الجُمْلَةِ التي بعدَها؛ وهي: ﴿إِذَا هَلَكَ﴾[1]، وهذه الدّلالَةُ تُبْرِزُ شكَّهم في يوسُفَ عليه السلام زمنَ وجودِه بينَهم، واستمرَّ هذا الشَّكُّ إلى وفاتِهِ، وهذا يدلُّ على عِنادِهم وإصْرارِهم على الباطِل.

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بِـ ﴿إِذَا﴾ دونَ (إنْ):

اسْتِمْرارُ الشَّكِّ مَعَ تَحَقُّقِ غايَةِ الحَدَثِ

جاء التَّعبير في جُمْلَةِ الشَّرط بـ ﴿إِذَا﴾ دونَ (إنْ) من قولِ اللّه تَعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾؛ لِما تَدُلُّ عليهِ (إذا) مِنَ الجَزْمِ بِوُقوعِ مَدْخولِها، بخلافِ (إن)؛ فَهيَ تَدُلُّ على الشَّكِّ في وقوعِهِ، والمناسِبُ للسّياق هاهنا هو ﴿إِذَا﴾؛ لأنَّ موتَ يوسُفَ عليه السلام أمرٌ محقَّق، وفي التَّعبيرِ بـ ﴿إِذَا﴾ إيماءٌ إلى اسْتِمْرارِ شَكِّهم، حتّى معَ تحَقُّق غايةِ الحدثِ.

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بِالشّرطيّة ﴿إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ﴾:

في التّعبير بالجملة الشّرطيّة دلالةٌ على ارتباط جواب الشّرط بفعله، أي: إنّهم قالوا ما قالوه بعد تيقّنهم هلاكَه، وأنّهم ما قالوا ذلك في حال حياته.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 140.

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بِالهَلاكِ:

تَمْحيضُ النُّصْحِ وإيـهـامُ عَـدَمِ التَّعْظيمِ

عبَّر مؤمنُ آلِ فِرْعونَ عَن مَوْتِ يوسُفَ ﷺ بـ ﴿هَلَكَ﴾، وذلك في قولِ اللهِ تَعالى حكايةً عنه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾؛ وذلك لإيهامِهم أنَّه غيرُ مُعَظّم لَهُ؛ لئلّا يقال: إنَّه ينافِح عن معَظَّمِه لذات المعظَّم، لا للحقِّ الذي مَعَهُ، فكان التَّعبير بـ ﴿هَلَكَ﴾ موهِمًا أنَّ ما يقولُه هو محضُ نصيحةٍ ونظَرٍ في العاقِبَةِ[1]. وزعم بعضُهم أنّ التّعبير بالهلاك عائدٌ إلى ملحظٍ تاريخيٍّ، وهو أنّ يوسف ﷺ مات ولم يُعقِّب خَلْفَه نسلًا يَسُدّ مكانَه.

الموقع النّحويّ لقوله: ﴿قُلْتُمْ﴾:

الجملة جواب الشّرط غير الجازم، ولم ترتبط بالفاء للدّلالة على أنّ القول هو جواب الشّرط، فالقولُ ترتّب على الهلاك مباشرة دونَ توسّط.

دلالَةُ التَّعْبيرِ بِـ ﴿يَبْعَثَ﴾ مادَّةً وصيغَةً:

البَعْثُ بَيْنَ إحْياءِ القُلوبِ وإظْهارِ الجُحودِ

مادَّةُ البَعْث تدلُّ على الإحياءِ والإقامَةِ بعدَ الموتِ، والتَّعبير ببَعْثِ الرُّسُلِ يومِئُ إلى إحياءِ القُلوب بالوَحْيِ كما يُحْيي اللهُ تَعالى الأمواتَ، وفي قولِه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ إظهارٌ لشِدَّةِ جُحودِ أهل الكفر؛ حيثُ نَفَوْا وقوعَ هذا الإرسالِ المُرَتَّبِ عليه إحياءُ القلوب. وفي صياغَةِ البَعْثِ بصيغَةِ الفعل المضارع دلالَةٌ على الاستمرارِ، والمُراد استمرارُ النَّفْي لا نَفْيُ الاستمرارِ؛ إذْ غَرَضُهُم نَفْيُ إرْسالِ الرُّسُل بعدَ يوسُفَ ﷺ مُطْلَقًا.

دلالَةُ ﴿مِنۢ﴾ في ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾:

إنْكارُهُمْ بَعْثَ الرُّسُلِ إنْكارًا مُطْلَقًا

لَمّا كان المُراد بالنَّفْي في قَوْلِهم: ﴿لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ نفيًا مُسْتَغْرِقًا الأزمانَ المستقبلةَ كُلَّها؛ حتّى لا يقَعَ بعثٌ في زمَنٍ مِنَ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 64.

الأزْمانِ وإنْ قلَّ؛ أُدْخِلَ حرفُ الجرِّ ﴿مِنْ﴾، فجاء البيانُ القُرآنيُّ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾[1].

نُكْتَةُ تَنْكيرِ ﴿رَسُولًا﴾:

إنْكارُ الكُفّارِ سُنَّةَ اللهِ تَعالى في إرْسالِ الرُّسُلِ

نُكِّر لفظُ ﴿رَسُولًا﴾ من قولِ الله تَعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ للدّلالَة على العموم؛ لأنَّ لفظ ﴿رَسُولًا﴾ نَكِرَةٌ واقعَةٌ في سياق النَّفْي بـ ﴿لَن﴾، فالكُفّار أنكروا بعثةَ أيِّ رسولٍ بعد وفاة يوسُفَ عليه السلام، ممّا يُشْعِرُ بإنكارِهم سنةَ الله تعالى المُسْتَمِرَّةَ في إرسالِ الرُّسل لهدايَةِ النّاس وإقامَةِ الحُجَّة عَلَيْهِم.

عِلَّةُ فَصْلِ قَوْلِهِ: ﴿كَذَٰلِكَ﴾:

الضَّلالُ العَظيمُ مَصيرُ المُسْرِفينَ المُرْتابينَ

فُصل قولُ الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لوقوعِهِ اسْتِئْنافًا بيانيًّا، فكانَ بينَ الجُمْلَتَيْنِ شِبهُ كمالِ الاتِّصال، وذلك لأنَّ قولَ الله سُبْحانَهُ: ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا﴾ يَبْعَثُ في نَفْسِ المُتَلَقّي سُؤالًا؛ وهو: هذا ضلالٌ عظيمٌ، فهل ضلَّ أحدٌ مثلَهُ؟ فجاء الجوابُ: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾[2].

دلالَةُ التَّشْبيهِ في ﴿كَذَٰلِكَ﴾:

التَّزْهيبُ مِنْ عاقِبَةِ الإسْرافِ والارْتيابِ

في قول الله عزّ وجلّ: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ أسلوبُ تشبيهٍ؛ حيثُ شُبِّهَ ضلالُ المُسْرِف المُرْتاب بِضَلالِ مَن أعْرَضَ عَنِ الحقِّ وزعَمَ أنَّ اللهَ سُبحانَهُ لَن يَبْعَثَ رَسولًا، وهَذا التَّشبيهُ فيهِ تَرْهيبٌ وتَحْذيرٌ؛ فَهو يُخوِّف مِن عاقِبَةِ مُشابهة لَمَن سبقَ مِن أهل الضَّلال ويُرَهِّب مِن ذلك.

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بِاسْمِ الإشارَةِ لِلبَعيدِ:

فَظاعَةُ الإضْلالِ وشَناعَتُهُ

عُبِّر باسْمِ الإشارة الدّالِّ على البُعْدِ (ذلك) في قول الله سُبْحانَه:

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 65.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 65.

﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ﴾؛ لإنزال البُعْد المعنويّ منزلةَ البُعْد الحسّيّ؛ للدّلالة على عِظَم الإضْلالِ وفَظاعَته[1].

بيانُ القائِلِ في الآيَتَيْنِ الكَريمَتَيْنِ:

تَكْذيبُ قَوْمِ موسى عِبْرَةٌ لِمُشْرِكي قُرَيْشٍ

في قولِ الله ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ٣٤ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾ يَحتَمِلُ أن يكونَ مِن تمامِ كلامِ مُؤْمِنِ آل فرعونَ، واسْتَظْهَر ابنُ عاشور أنَّ ذلك كلَّه من كلامِ الله تعالى، وهو مُعْتَرِضٌ بينَ كلامِ المُؤْمِنِ وكلامِ فِرعون: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ﴾، واحتجَّ على ذلك بأنَّ المعانيَ المذكورَةَ مِن المَعاني الإسلاميَّةِ، وقد قُصِدَ مِنْ ذلك العبرةُ بحالِ المكذّبين بموسى عليه السلام تَعْريضًا بمُشْرِكي قُرَيْش، والمَعْنى: كَضَلالِ قَوْمِ فِرعونَ يُضِلُّ اللهُ تعالى مَن هو مُسْرِف مرتابٌ أمثالُكم، فكذلكَ يَكونُ جَزاؤُكم. وقوّى هَذا بِما ورَد في آخرِ الآية: ﴿وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾، ووَجْهُ ذَلك: أنَّه لَم يكُن معَهُ مُؤْمِنٌ بِموسى وهارونَ عليهما السلام غيرُهُ[2].

دلالَةُ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿يُضِلُّ﴾:

تَزْهيبُهُمْ وتَخْويفُهُمْ مِنَ الإسْرافِ

جاء التَّعبيرُ بالفِعْلِ المُضارع ﴿يُضِلُّ﴾ في قول الله تَعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ﴾؛ للدّلالة على التَّجدُّد والاستمرارِ، مِمّا يدُلُّ على أنَّ الإضلالَ ليسَ مِمّا يَحْدُثُ مَرَّةً مُنْفَرِدَةً، وإنَّما يتجدَّد بتجدُّد الإسرافِ والارْتياب، وفيه تصويرٌ للإضلالِ كأنَّه يقع زمَنَ الخطابِ، وذلك أشَدُّ تَرْهيبًا وتَخْويفًا.

دلالةُ إسْنادِ الإضْلالِ إلى اللهِ تعالى:

الإضْلالُ الإلَهيُّ عَدْلٌ لا ظُلْمَ فيهِ

في إسنادِ الإضْلال إلى الله ﷻ في قولِه: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ﴾ إسنادٌ حقيقيٌّ؛ لِما تَقَرَّر مِن أنَّ ما يُضاف إلى

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 276، والآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 321.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 141.

اللّه سُبحانَهُ لا يدخلُهُ المجازُ - كما هو طريقَةُ أهلِ الحديثِ - ، وهذا الإضلالُ عدلٌ مِنْهُ سبحانَهُ، فهو تعالى يُضِلُّ مَن اختارَ الضَّلالَ وفعلَه، كما قال ﷻ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ [الصّف: 5]، فيكون الإضلالُ ضربًا مِنَ العِقابِ الإلهيِّ الذي لا ظُلْمَ فيهِ بوجهٍ مِنَ الوجوهِ.

بلاغَةُ وضْعِ المُظْهَرِ مَوْضِعَ المُضْمَرِ:

في قولِ اللّه ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ﴾ إظهارٌ في محلِّ الإضْمارِ، وذلكَ لأنَّ مُقْتَضى الظّاهرِ أن يَرِدَ النَّظمُ القرآنيُّ: (كذلكَ يُضِلُّ مَن هو مسرفٌ مرتاب)؛ لتقَدُّمِ ذِكْرِ الاسم الأحسن قبلُ في قولِه تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ﴾، ونُكتةُ ذلك: إدخالُ المَهابة، وإلقاءُ الرَّوعِ في نفوسِ المُتلقّين، وتعظيمُ الأمرِ لبيانِ صلاحيَّةِ الحالِ لذلك. وعُدِلَ عن الإضمارِ أيضًا؛ لئلّا يُخصَّ الإضلالُ بالحيثيَّةِ المتقدِّمةِ في الآيةِ، بل جُعِلَ حُكْمًا عامًّا[1].

إلْقاءُ المَهابَةِ في نُفوسِ المُخاطَبينَ

دلالَةُ التَّعْبيرِ بالمَوْصولِ وصِلَتِهِ في قوله: ﴿مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ﴾:

﴿مَنۡ﴾ في قولِ اللّه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ﴾ اسمٌ موصولٌ مبنيٌّ على السُّكون في محلِّ نصبٍ مفعولٌ بهِ، وجُمْلَةُ ﴿هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ﴾ صلتُهُ لا محلَّ لَها مِنَ الإعرابِ. وفي التَّعبير بالاسْم الموصولِ وصِلتِهِ إيماءٌ إلى عِلّيَّةِ الحُكْم، وأنَّ الإسرافَ والارْتيابَ وصْفانِ اسْتَحَقَّ بهما هؤلاءِ الإضْلالَ، فكانَ الإضلالُ عِقابًا إلهيًّا واقِعًا على وجهِ العدلِ.

الإشارَةُ إلى عِلَّةِ الحُكْمِ

نُكْتَةُ تَقْديمِ ﴿مُسۡرِفٞ﴾ عَلى ﴿مُّرۡتَابٌ﴾، مع تنكيرهما:

قُدِّم ﴿مُسۡرِفٞ﴾ على ﴿مُّرۡتَابٌ﴾ في قولِ اللّه تَعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ﴾ من باب تقديمِ السَّببِ على المُسَبَّب، وذلك لأنَّ الإسرافَ سببٌ مُؤَدٍّ إلى الارتيابِ، فالإسْرافِ

الإسْرافُ مَبْدأُ الانْحِرافِ المُؤَدّي إلى الارْتيابِ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 65.

بَدءُ الانحرافِ المُفضي إلى الشَّكِّ والارتيابِ. وجاء هذان الاسمان مُنَكّرَيْن للدّلالة على التّحقير لمن كان هذا شأنه، فضلًا عن دلالتها على العموم لتشملَ كلَّ من كان هذا وصفُه.

الموقع النّحويّ لقوله: ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾:

الاسم الموصول ﴿مَنْ﴾ في محلّ نصب مفعول به لفعل الإضلال، وما بعدَه صلةُ الموصول لا محلّ لها من الإعراب، والغرض من مَجيء المفعول هنا اسمًا موصولًا هو زيادةُ النّعي على مَن كان هذا وصفُه.

الاستمرار في الضّلال مرتبطٌ بالإسراف والرّيب

عِلّةُ فَصْلِ قولِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ﴾ عَمّا قَبْلَهُ:

فُصِلَ قولُ الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾ عن الجُمْلَةِ قبلَهُ؛ لِوُقوعِه بدلًا ممّا قبلَهُ، وشأنُ البدَلِ أنْ لا يُعطفَ على المُبْدَل منْه. ويجوزُ أن يكون فَصْلُ الآيةِ عمّا قبلَها؛ لِكَوْنِها اسْتِئْنافًا بيانيًّا، فيكون بينَ الجُمْلَتَيْنِ شِبهُ كمالِ الاتِّصال؛ وذلكَ لأنَّ قولَ الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ يَبْعَثُ في نَفْسِ المُتَلَقّي سؤالًا؛ وهو: ما حقيقةُ هَؤُلاء الجامعين بينَ الإسْرافِ والارْتيابِ، فجاءَ الجوابُ في قولِه: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾.

الجدالُ بغيرِ علمٍ صِفَةٌ لازِمَةٌ للمُسْرِفينَ المُرْتابينَ

غَرَضُ التَّعْبيرِ بالاسْمِ المَوْصولِ وصِلَتِهِ:

جاء التَّعبيرُ بالمَوْصولِ وصِلَتِه في قولِ الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾ زيادةً في بيان المُسْرِفينَ المُرْتابينَ، وإيماءً إلى أنَّ مضمونَ الصِّلة ممّا عُرفوا به[1]؛ إذْ مِن شَأْنِ الصِّلَةِ أن يكونَ مَضْمونُها معروفًا ومُقَرًّا به.

اشْتِهارُهُمْ بالجِدالِ الباطِلِ

المَوْقِعُ النَّحْويُّ لِقَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

﴿ٱلَّذِينَ﴾ من قولِ اللهِ تَعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾ بدلٌ مِنَ المَوْصول الأوَّل ﴿مَنْ﴾ في قولِه: ﴿مَنْ

أثَرُ الإعْرابِ في إثْراءِ المَعاني

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 142.

هُوَ مُسْرِفٌ﴾ أو بيانٌ له، أو صفةٌ باعتبارِ معناهُ[1]. ويجوز أنْ يكونَ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ في محلِّ رفعٍ على الابتداءِ، وخبرُه: ﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾، أو خبرُه: ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ ولا بُدَّ من تقديرِ مضافٍ على هذا الوجهِ يَرْجِعُ إليه الضَّمير، والتَّقدير: جِدالُ الذين يُجادِلون كَبُر مَقْتًا[2].

دلالَةُ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿يُجَٰدِلُونَ﴾:

التَّصْريحُ بِذَمِّهِمْ وذَمِّ جِدالِهِمْ

عُبِّر بالفِعْلِ المُضارِع ﴿يُجَٰدِلُونَ﴾ في قولِ اللهِ تَعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾؛ للدّلالة على تَجَدُّد جِدالِهم وتَكَرُّره مِنْهُم، وأنَّهم لا يَنْفَكّون عنه. وهذا صريحٌ في ذَمِّهم، وكنايةٌ عن ذَمِّ جِدالِهم الذي اقْتَضى ضلالَهُمْ[3].

دلالَةُ الظَّرْفيَّةِ في قوله: ﴿فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾:

الإيماءُ إلى ظُهورِ الحَقِّ وقوَّتِهِ

﴿فِى﴾ حرفُ جرٍّ يدُلُّ على الظَّرفيَّة، والظَّرفيَّة في قولِ اللهِ تَعالى: ﴿يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ مجازيَّة، وفي ذلكَ دِلالَةٌ عَلى اسْتِغْراقِ المُجادِلين في آياتِ اللهِ تعالى، كأنَّهم داخِلَها يَتَنازَعونَها مُحاوِلين إبطالَ حُجَجِها. ففي الظّرفيّة استعارةٌ تبعيّة في الحرف. وفيه أيضًا إيماءٌ إلى قوَّة الحقِّ وظُهورِه؛ حيثُ صوِّرت الآياتُ في صورَةِ ما يُحيط بِهِم إحاطَةً تامَّة؛ فلا يُمْكِنُهُم دَفْعُ حُجَجِ الآياتِ الدّامِغَة أو الفرار من سُلْطانِها.

نُكْتَةُ إضافَةِ الآياتِ إلى الاسْمِ الأحْسَنِ:

بَيانُ عِظَمِ جُرْمِ الجِدالِ في الآياتِ

أُضيفَتِ الآياتُ إلى الاسْمِ الأحسَنِ ﴿ٱللَّهِ﴾ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾؛ تعظيمًا للآياتِ بإضافَتِها إلى العَظيم ﷻ، وما يَصْدُرُ مِنَ العَظيم لا يكونُ إلّا عظيمًا. وهذهِ الإضافَةُ تُضْفي هيبةً على الآياتِ، وتُبَيِّنُ عِظَمَ جُرْمِ الجِدال

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 276.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 6/ 167.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 142.

فيها؛ إذِ الذين يُجادِلونَ فيها لا يُجادِلونَ في آياتٍ مجرَّدةٍ، بل في آياتِ اللّهِ الذي لهُ جميعُ أوصافِ الكمالِ والجَلال[1].

معنى الباءِ في قوله: ﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾:

جِدالُ المُكَذِّبينَ بَيْنَ الأهْواءِ وغيابِ الحُجَّةِ

الباءُ في ﴿بِغَيْرِ﴾ من قولِ اللّه تَعالى: ﴿يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾ حرفُ جرٍّ دالٌّ على الاستعانةِ[2]، أي: أنَّ جِدالَهُم قائمٌ على غيرِ حُجَّةٍ يَسْتَعينونَ بها في الجِدال، وإنَّما هو جِدالٌ يَسْتَنِدُ إلى أمْرٍ معدومٍ، مِمّا يدلُّ على بُطْلانِ ما هُم عليهِ، وأنَّهم يَخوضونَ في جدالٍ مُتَّكئينَ على أهْوائِهِم وأباطيلِهِم فَحَسْبُ. وقد تكون الباء للسّببيّة؛ لأنّ هذا الجدال ناشيءٌ عن خُلوّهم عن البرهان والدّليل، ويمكن أن تكون أيضًا للملابسة؛ لأنّ هذا الجِدال مقترنٌ بالخُلوّ من البراهين.

نُكْتَةُ تَنْكيرِ ﴿سُلْطَٰنٍ﴾:

بَيانُ فَسادِ حُجَجِهِمْ وانْقِطاعِها مِنْ كُلِّ وجْهٍ

نُكِّر ﴿سُلْطَٰنٍ﴾ في قولِ اللّه تَعالى: ﴿يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ﴾ لإرادةِ العُموم؛ لأنَّه واردٌ في سياق النَّفي، وذلك مِنْ ألفاظِ العُموم، والمَعْنى: نفيُ أيِّ نوعٍ مِن أنواعِ الحُجَج عَنْهُم، سواءٌ أكانَت حُجَّة عقليَّةً أو شرعيَّةً، فليسَ لَهُم أيُّ بُرْهانٍ يُعْتَدُّ بهِ في الجِدالِ. وهذا النَّفْيُ يَقْتَضي ذَمَّهُم وتَوْبيخَهُم؛ لبيانِ فَسادِ حُجَّتِهِم وانْقِطاعِها مِن كُلِّ وجهٍ.

المَوْقِعُ النَّحْويُّ لقوله: ﴿بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾:

إثْباتُ خُلوِّهِمْ مِنَ الحُجَجِ البَيِّنَةِ

شِبهُ الجُملة هنا في محل نصب على الحاليّة، على معنى أنّهم يفعلون ذلك والحالُ أنّهم لا يمتلكون دليلًا عليه، و﴿أَتَىٰهُمْ﴾ من قولِ اللّه تَعالى: ﴿يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ﴾ في محلِّ جرٍّ صفةٌ لـ ﴿سُلْطَٰنٍ﴾[3]، وفي تقييدِ السُّلطانِ بالإتْيانِ دِلالَةٌ على انْعِدامِ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 66.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 143.
(3) دعّاس، إعراب القرآن: 3/ 156.

الحُجَّة البَيِّنة الظّاهِرَة؛ إذْ لَو كانَ عِنْدَهُم حُجَجٌ لكانَتْ جَليَّة، حتّى إنَّها لِوُضوحِها كأنَّها تأتي بنَفْسِها لإثباتِ الحقِّ.

بَلاغَةُ المَجازِ في إسْنادِ الإتْيانِ إلى السُّلْطانِ:

مَـجـازٌ عـقـليٌّ علاقته السّببيّة والمسبّبيّة

الآيةُ فيها تصويرُ بطلانِ حالِهم؛ بالإيماءِ إلى أنَّ الدَّليلَ الحقَّ لو كانَ موجودًا؛ فإنَّه لا يَحْتاجُ إلى عناءٍ أو تكلُّفٍ لإظهارِهِ، بَل يَأْتي بِوُضوحِه وبَداهَتِه، فيكونُ في إسنادِ الإتيانِ إلى السُّلطانِ مَجازٌ عقليٌّ علاقته السّببيّة والمسبّبيّة. ويجوزُ أن يكونَ التَّركيبُ اسْتِعارةً؛ حيثُ اسْتُعيرَ الإتيانُ لِمَعْنى الظُّهور والحُصول، والاسْتِعارَةُ على هذا تَصْريحيَّة تبعيَّة.

بَيانُ فاعِلِ ﴿كَبُرَ﴾:

بُلوغُ المَقْتِ غايَةَ دَرَجاتِهِ وأقْصاها

فاعلُ الفعل ﴿كَبُرَ﴾ من قولِ الله تَعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾ ضميرٌ مستَتِرٌ يعود إلى الجِدال المُسْتَفاد من ﴿يُجَٰدِلُونَ﴾؛ إذْ في الفِعْلِ مَصْدَرٌ مستكِنٌّ فيه، على طريقةِ قولِه تعالى: ﴿ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ﴾ [المائدة: 8] أي: العدلُ، المستفادُ مِنَ الفِعْلِ ﴿ٱعْدِلُواْ﴾ [المائدة: 8]. ويجوزُ أن يكونَ الضَّمير في ﴿كَبُرَ﴾ راجعًا إلى الاسم الموصول ﴿مَنْ﴾ في قولِه تَعالى: ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾، وعاد الضَّمير مُذَكَّرًا مُفْرَدًا باعْتِبارِ لَفْظِ ﴿مَنْ﴾[1]. وصيغَةُ الماضي في الفِعْلِ ﴿كَبُرَ﴾ يُفيدُ تَحَقُّق هذا الوصف، وبُلوغَهُ غايةَ درجاتِهِ ومُنْتَهاها.

بلاغَةُ الكِنايَةِ والمَجازِ في قوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾:

المَقْتُ الشَّديدُ دِلالَـــةٌ عَـلى فَظاعَةِ الجِدالِ بِغَيْرِ سُلْطانٍ

في جملةِ ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ من قولِ الله تَعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾ تصريحٌ بِذَمِّهِم، وتقريرٌ بفَظاعَةِ جِدالِهِم، وكانَ التَّفظيعُ قبلُ مستفادًا من صِلَةِ المَوْصولِ على وجهِ الكِناية، فكانَ في الآيةِ جمعٌ

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 166 - 167، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 276، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 143.

بينَ التَّصريح والكِناية في توبيخِهم وذَمِّهم. والكبَرُ مستعارٌ للشِّدَّةِ، على جِهَةِ الاسْتِعارَةِ التَّصريحيَّة التَّبعيَّة، والمعنى: مَقَتَ اللّهُ تعالى جِدالَهم مَقْتًا شديدًا؛ وذلك كنايَةٌ عَن شِدَّة العِقاب على ذلكَ مِنَ اللّهِ سُبْحانَه[1]. وجملةُ ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ خبريَّةٌ، وفيها ضربٌ مِنَ الدّلالَةِ على التَّعجُّب والاسْتِعْظام لِجِدالِهم، والشَّهادةِ عليهِ بِخُروجِهِ إلى حدِّ الكبائرِ[2]، فكانَ في الجُمْلَةِ مَجازٌ مُرْسَلٌ مركَّبٌ.

المَوْقِعُ النَّحْويُّ لِقَوْلِهِ: ﴿مَقْتًا﴾:

﴿مَقْتًا﴾ مِن قولِهِ سُبْحانَهُ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ تمييزٌ محوَّلٌ عن فاعلٍ، والتَّقدير: كَبُرَ مقتُ جِدالِهم[3]، فحوِّل الفاعلِ إلى تمييزٍ، وأُقيم الجِدال مُقامَهُ، فصار التَّركيب: كَبُرَ جِدالُهُم مقتًا، ثُمَّ أُضْمِرَ الفاعلُ لدلالة الفِعْلِ ﴿يُجَٰدِلُونَ﴾ عليه.

شِدَّةُ غَضَبِ اللهِ تعالى عليهم بِسَبَبِ جِدالِهِمْ

دلالَةُ التَّعْبيرِ بِلَفْظِ المَقْتِ:

في التَّعبير بلفْظِ المَقْتِ في قولِ اللّه تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ يُشير إلى شدَّةِ البُغْضِ والكُرْهِ، ولازمُ ذلك العُقوبَةُ البالِغَةُ عليهِ؛ إذِ العُقوبَةُ الأُخْرَويَّة تكون ملائمَةً للجُرْمِ مناسِبَةً له.

المَوْقِعُ النَّحْويُّ لِـ ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ ودِلالَتُهُ:

﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ من قولِ اللّه تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ﴾ ظرفٌ ومضافٌ إليه مُتَعلّقانِ بالفِعْلِ ﴿كَبُرَ﴾، وفي تقييدِ الفِعْلِ ﴿كَبُرَ﴾ بالظَّرف ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ تعظيمٌ للجدال في آياتِ اللّه تعالى بالباطِل وتَشْنيعٌ بليغٌ له؛ إذْ بلغَ جُرْمُ هذا الجِدالِ إلى أنْ كانَ مُبغَضًا عند اللّهِ سُبْحانَهُ، وهو الكاملُ في حِكْمَتِه وعَدْلِه.

شَناعَةُ الجِدالِ في آياتِ اللهِ تعالى بِالباطِلِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 143.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 4/ 167.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 143.

نُكْتَةُ عَطْفِ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾:

موافَقَةُ فِطَرِ أهْلِ الإيمانِ لِحُكْمِ اللهِ سُبْحانَهُ

عُطِف ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في قولِ اللّه تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ إظهارًا لهذا البُغْضِ الشَّديد؛ وذلك لأنَّ كون الجدالِ مَقْتًا عندَ اللّهِ سُبْحانَهُ؛ لا يحصلُ في عِلْمِ النّاس إلّا بالخَبَرِ، فَزيدَ الخبرُ تأكيدًا وتأييدًا بالحسِّ والمُشاهدَة؛ بأن جُعل ذلك مُبْغَضًا عند الذين آمَنوا، فإنَّ المُؤْمنين على قِلَّتِهم حينَئذٍ يَظْهَرُ بينَهُم بغضُ جِدالِ المُشْرِكين[1]. وهذا العطفُ يَتَضَمَّن أيضًا مدحًا لأهلِ الإيمان؛ حيثُ وافَقَت فِطرتُهم المستقيمةُ حُكمَ اللّه تعالى.

دلالَةُ التَّعْبيرِ بالاسْمِ المَوصولِ وصِلَتِهِ:

بَيانُ تَحَقُّقِ الإيمانِ ورُسوخِهِ فيهِمْ

جاء التَّعبيرُ بالاسْمِ الموصولِ وصِلَتِه ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ من قولِ اللّهِ تَعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ دون التَّعبيرِ بـ (المُؤْمِنين)؛ فلَم يَرِدِ النَّظمُ القرآنيُّ: (كَبُر مَقْتًا عندَ اللّهِ وعندَ المُؤْمِنين)؛ لتعظيم المؤمنين، وذلك للإيماءِ إلى علَّةِ بُغْضِ المُؤْمِنين لِجِدالِ الكُفّار في آياتِ اللّهِ تَعالى بالباطلِ وهوَ الإيمانُ، فإيمانُهُم الرّاسِخُ سببٌ في مَقْتِهِم الجدالَ الباطل. وفي مجيءِ الصِّلة فِعْلًا ماضيًا دلالةٌ على تحقُّقِ الإيمانِ مِنْهُم، ورُسوخِهِ في نُفوسِهم.

نُكْتَةُ حَذْفِ مُتَعَلّقِ الإيمانِ:

اسْتِقْرارُ مَعْنى الإيمانِ في أذْهانِ المُخاطَبينَ

حُذِفَ مُتَعَلَّقُ الإيمان في قول اللّهِ سُبْحانَهُ: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، فلم يُذْكَر المُؤْمَنُ بِهِ؛ وذلك لِلعِلْمِ بِهِ؛ فَإنَّ متعلَّق الإيمانِ كان معروفًا عِنْدَ المُخاطَبينَ. ويجوزُ أن يكون الحذفُ لِإفادَةِ العموم، أي: آمَنوا بجميع ما يَجِبُ الإيمانُ بِهِ. ولا تنافيَ بينَ الدّلالَتَيْن؛ لأنَّ الإيمانَ المَعْهودَ عندَ المُخاطَبينَ هو جميعُ الأفرادِ التي يَجِبُ الإيمانُ بِها.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 144.

عِلَّةُ فَصْلِ قَوْلِهِ: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ﴾ عَمّا قَبْلَهُ:

بَيانُ حالِ قُلوبِ المُجادِلينَ بِالباطِلِ

فُصل قولُ اللهِ تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لِوقوعِهِ اسْتِئْنافًا بيانيًّا، فكانَ بينَ الجُمْلَتَيْنِ شِبهُ كمالِ الاتِّصال، وذلك لأنَّ قولَ اللهِ سُبْحانَهُ: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يَبْعَثُ في نَفْسِ المُتَلَقّي سُؤالًا؛ هذا الانحرافُ العظيمُ بالجدالِ في آياتِ اللهِ تعالى بغَيْرِ علمٍ لا يكونُ إلّا مِن مُظْلِمِ القلبِ، فما حالُ قلوبِ هَؤلاءِ؟ فجاءَ الجوابُ: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[1].

دلالَةُ التَّشْبيهِ في قولِه: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ﴾:

التَّحْذيرُ مِنَ السَّيْرِ على نَهْجِ المُتَكَبِّرينَ

في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ أسلوبُ تشبيهٍ؛ حيثُ شُبِّه طَبْعُ اللهِ تعالى على قُلوبِ المُتَكَبِّرين الجَبابِرَةِ بالطَّبع على قُلوبِ مَن سَبَقَهُم مِن أهْلِ الكِبْرِ والجُحود، مِمَّن أصَرّوا على الباطلِ ورَفَضوا الحقَّ، وهذا التَّشْبيهُ يتضمَّنُ ترهيبًا وتحذيرًا شديدًا مِنَ السَّير على نَهْجِهم؛ لِما يُؤَدّي إليهِ مِن الخَتْم على القلوبِ وحِرْمانِها نورَ الهدايةِ.

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بِاسْمِ الإشارَةِ الدّالِّ عَلى البُعْدِ:

عُبِّر باسْمِ الإشارة الدّالِّ على البُعْدِ (ذلك) في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾؛ لإنزال البُعد المعنويّ منزلة الحسّي؛ للدّلالة على عِظَم ذلك الطَّبعِ وفَظاعَتِه[2].

دلالَةُ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ المُضارِعِ ﴿يَطْبَعُ﴾:

تَجَدُّدُ الطَّبْعِ على القُلوبِ بِتَجَدُّدِ الكِبْرِ فيها

جاء التَّعبيرُ بالفِعْلِ المُضارع ﴿يَطْبَعُ﴾ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾؛ للدّلالة على التَّجدُّد

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 17/ 76.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 276.

والاستمرارِ، مِمّا يدُلُّ على أنَّ الطَّبْعَ على القلوبِ ليسَ مِمّا يَحْدُثُ مَرَّةً مُنْفَرِدَةً، وإنَّما يتجدَّد بتجدُّد الكِبْرِ والتَّجبُّر. وفيه تصويرٌ للطَّبْعِ كأنَّه يقع زمَنَ الخطابِ، وذلك أشَدُّ تَرْهيبًا وتَخْويفًا.

دلالَةُ إسنادِ الطَّبْعِ إلى اللهِ تَعالى:

الـطَّـبْـعُ عَـلى الـقُـلـوبِ عَـدْلٌ إلَهيٌّ لا ظُلْمَ فيهِ

في إسنادِ الطَّبْعِ على القلوبِ إلى اللّه ﷻ في قوله: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ إسنادٌ حقيقيٌّ؛ لِما هو مُقرَّرٌ مِن أنَّ ما يُضاف إلى اللّه تَعالى لا يدخلُهُ المجازُ - كما هو طريقَةُ أهلِ الحديثِ - ، وهذا الطَّبْعُ عدلٌ مِنْهُ سبحانَهُ، فهو ﷻ يطبَعُ على مَن صَمَّ عن سماعِ الحقِّ، وعَمِيَ عن رُؤيتِه، وعطَّلَ قلبَهُ عن تأمُّلِ أدلَّتِه، كما قال ﷻ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ﴾ [الصّف: 5]، فيكون الطَّبْعُ على القلوبِ نوعًا مِنَ العقوبةِ الإلهيَّةِ الذي لا ظُلْمَ فيها بحالٍ. ويرى بعضهم أنّ إسناد الطّبع إلى اللّه من باب المجاز العقليّ؛ لأنّ اللّه تعالى هو الذي أعطاهم حرّيّة الاختيار بما أودعَه فيهم من القدرة على فعل الخير وفعل الشّرّ.

نُكْتَةُ تَعْديَةِ فِعْلِ الطَّبْعِ بِحَرْفِ الاسْتِعْلاءِ:

شُموليَّةُ الطَّبْعِ وإحاطَتُهُ بِالقَلْبِ

عُدّي فعلُ الطَّبْعِ في قول اللّه تَعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ بحرفِ الجرِّ ﴿عَلَىٰ﴾، وهو دالٌّ على الاستعلاء؛ وذلك ليُفيد إحكامَ الطَّبع وشمولَهُ، فحرفُ الجرِّ ﴿عَلَىٰ﴾ يوحي بالهَيْمَنَة والغَلبةِ المُطْلَقَة، مِمّا يقتضي أنَّ الطَّبعَ يُغَطّي القلبَ كُلَّهُ، فلا ينفذُ إليهِ خيرٌ ولا هِدايَةٌ.

نُكْتَةُ إيقاعِ الطَّبْعِ عَلى القَلْبِ دونَ غَيْرِهِ:

القَلْبُ مَوْضِعُ الإدْراكِ والهِدايَةِ

عُلِّق الطَّبعُ بالقَلْبِ دونَ غيرِهِ في قول اللّه سُبحانَهُ: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾؛ لأنَّ القلبَ مَوْضِعُ الإدْراكِ والتَّفكُّر وأصلُ الإيمانِ، وهوَ مَصْدَرُ الهدايَةِ أو الضَّلالِ، فَجَعْلُ الطَّبْعُ عليه يدلُّ على تَعْطيلِ أعْظَمِ ما يُسْتَعْمَلُ في فَهْمِ الحقِّ، مِمّا يُفْضي إلى انْعِدامِ الهدايَةِ بالكلّيَّة.

بَلاغَةُ الكِنايَةِ في الطَّبْعِ عَلى القُلوبِ:

اسْتِحْكامُ الضَّلالِ وانْعِدامُ الهِدايَةِ

الطَّبعُ على القلوبِ المذكورُ في قول الله سُبحانَهُ: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾ يُراد به لازِمُهُ؛ وهو عدَمُ قَبولِ التَّأثُّر بالهُدى وإدراكِ الحقِّ، فيكون الطَّبْعُ عَلى القُلوب كنايةً عن صفةٍ، وهذه الكنايةُ تُبرز اسْتِحْكامَ الضَّلال في القَلْبِ، وتُصوِّر الحالَ المعنويَّةَ لَهُ بأمْرٍ مَحْسوسٍ؛ ليكونَ أكْثَرَ وُضوحًا وأشَدَّ تَأْثيرًا.

تَوْجيهُ القِراءاتِ القُرْآنيَّةِ:

التَّكامُلُ الدّلاليُّ بَيْنَ القِراءاتِ

قرأ الجُمْهورُ: ﴿عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾، بإضافَةِ ﴿قَلۡبِ﴾ إلى ﴿مُتَكَبِّرٖ﴾، وقرأ أبو عَمْرٍو وابنُ ذَكْوانَ بتَنْوينِ ﴿قَلۡبِ﴾، على أنَّ ﴿مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾ صِفَتانِ له[1]. فقراءَةُ الجُمْهورِ تَقْتَضي وصفَ صاحِبِ القَلْبِ بالتَّكبُّر والجَبروتِ، وذلكَ يَدُلُّ على فَسادِ القَلْبِ، وتوجُّهِ صاحبِهِ نحوَ الكُفْرِ والعِناد. وأمّا قِراءَة أبي عَمْرٍو وابنِ ذَكْوانَ: فعلى أنَّ التَّكبُّر والجَبروت صِفَتانِ للقَلْبِ، وذلك مجازٌ عقليٌّ؛ إذِ المَقْصودُ صاحبُهُ، فيكون كقولِهِ تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥ﴾ [البقرة: 283][2].

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بِلَفْظِ ﴿كُلِّ﴾:

شُمولِيَّةُ العِقابِ الإلَهيِّ لِلْمُتَكَبِّرينَ

التَّعبيرُ بـ ﴿كُلِّ﴾ في قولِ اللهِ تَعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾ يُظْهِرُ شُمولَ العِقابِ الإلهيِّ لِكُلِّ مَنِ اتَّصف بالتَّكبُّر والجَبروت، فالطَّبْعُ ليسَ خاصًّا بأفرادٍ خاصّينَ، بَلْ يَعُمُّ كُلَّ مَن تلبَّس بِهَذَيْنِ الوَصْفَيْنِ.

نُكْتَةُ وصْفِهِمْ بِهَذَيْنِ الوَصْفَيْنِ:

التَّكَبُّرُ والتَّجَبُّرُ وصْفانِ مُلازِمانِ لِلْمُجادِلينَ بِالباطِلِ في آياتِ اللهِ سُبْحانَهُ

وُصِفَ المُجادِلون في آياتِ اللهِ تعالى بالباطِلِ بِوَصْفَيْنِ: التَّكبُّر والتَّجبُّر، وذلك في قولِ اللهِ تَعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ﴾؛ وذلك لأنَّ الكِبْرَ يومِئُ إلى التَّعالي عن الحقِّ وبطَرِه،

(1) ابن الجزريّ، تحبير التّيسير، ص: 539.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 145.

ممّا يَقْتَضي مِن صاحبِهِ أن يكونَ مُتَمَرِّدًا على الحقِّ، مُصِرًّا عَلى الباطِلِ، غَيْرَ مُنْقادٍ للآياتِ والحُجَجِ ولَو كانَتْ في غايَةِ الظُّهورِ والبيانِ. وأمّا وصْفُهُم بالتَّجبُّرِ؛ فدالٌّ على الطُّغيانِ والعِنادِ، ممّا يُشيرُ إلى اعْتِقادِ الباطِلِ وإلزامِ الآخَرينَ بهِ، والجدالِ في سبيلِ تحقيقِ الباطلِ. والوصفانِ معًا يُبْرِزانِ حالَ الإنسانِ المُعانِدِ المُقاومِ للحَقِّ، وذلك ممّا يجعَلُ جِدالَهُ بالباطِلِ أكثَرَ عِنادًا وصَلابةً.

نُكْتَةُ تَقْديمِ صِفَةِ التَّكَبُّرِ على التّجبّر:

التَّكَبُّرُ ضَلالٌ باطِنيٌّ، والتَّجَبُّرُ ضَلالٌ ظاهِريٌّ

قُدِّمت صفةُ التَّكبُّر على صفة التَّجبُّر في قولِ اللّه سُبْحانه: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾؛ لتعلُّق التَّكبُّر بالضَّلال الباطنيِّ، والتَّجبُّر بالضَّلال الظّاهريِّ، والثّاني مسبَّبٌ عَنِ الأوَّلِ ونتيجَةٌ لَهُ.

دلالَةُ الصّيغَةِ في الوَصْفَيْنِ:

المُبالَغَةُ في الإلْزامِ بِالباطِلِ

لفظ ﴿مُتَكَبِّرٍ﴾ في قولِ اللّه تَعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ على زِنَةِ (مُتَفَعِّلٍ)، وهذه الزِّنة تُشير إلى تكلُّف الكِبْرِ والاسْتِعْلاء، وذلك يَقْتَضي أنَّ الكِبْرَ لا يَصْدُرُ مِنْ ذاتِ الطَّبيعةِ الإنْسانيَّة، وإنَّما هو تعمُّدٌ لإظهارِ صورةٍ مِنَ العَظَمَةِ المُزَيَّفة، ممّا يَقْتَضي مخالفةَ الكِبْرِ للفِطْرَةِ الإنسانيَّة السَّليمة. وأمّا ﴿جَبَّارٍ﴾ فعلى وزْنِ (فَعّال) وهو مِن أوزانِ المُبالغَةِ، وهيَ تَدلُّ على الشِّدَّة والقوَّة في الإلزامِ بالباطلِ والحَمْلِ عليهِ.

❁ الفُروقُ المُعجَميَّةُ:

الشَّكُّ والرَّيْبُ:

الشَّكُّ أصلُ الرَّيْبِ وسَبَبُهُ

مِن العلماءِ مَنْ يَرى الرَّيْبَ مرادِفًا لِلشَّكِّ؛ بل نَقَلَ ابنُ أبي حاتم الإجْماعَ على تَفْسير الرَّيبِ بالشَّكِّ الوارِدِ في صَدْرِ سورة البقرة[1]؛

(1) ابن أبي حاتِم، تفسير القرآن العظيم: 1/ 34.

وليس في هذا الإجماعِ إجماعٌ بتَرادُفِهما، وإنَّما كان الاتِّفاقُ على تفسيرِ الرَّيب بالشّكِّ مِن جهة وجودِ أصل الشَّكِّ فيهِ؛ إذْ كلُّ رَيْبٍ فيه شكٌّ. ولذا قال السَّمينُ الحلبيّ: "فلَيْسَ قولُ مَن قال: "الرَّيْبُ الشَّكُّ مطلقًا" بجَيِّدٍ، بل هو أخصُّ مِنَ الشَّكِّ"[1].

والتَّحقيقُ: أنَّ بين الرَّيْبِ والشَّكِّ فرقًا، وقَدِ اخْتَلَفَتْ عباراتُ العلماءِ في بيان الفرقِ بَيْنَهُما؛ فذهب جماعة إلى أنَّ الرَّيْبَ: هو الشَّكُّ مع تُهمة[2]، أو هو شكٌّ وزيادةُ ظنٍّ سوءٍ[3]، وحقيقتُهُ: قَلَقُ النَّفس واضْطِرابُها[4]، والتُّهْمَةُ التي في الرَّيْبِ هي تُهمةٌ لِلمُخْبِرِ[5]. وذهب آخرونَ: إلى أنَّ الشَّكَّ وقوفُ النَّفس بين شَيْئَيْنِ مُتَقابِلَيْنِ مِن دون أمارَةٍ مُرَجِّحةٍ بينَهُما، والرَّيبُ: أنْ يُتَوَهَّم في الشَّيء أمرٌ ما، ثُمَّ يَنْكَشِفَ عمّا توُهِّم فيه[6]، فكأنَّ في الرَّيْبِ نوعَ حُكْمٍ وإنْ لَم يَكُنْ جازمًا، بخلاف الشَّكِّ فلا حُكْمَ فيهِ.

والتَّحْقيقُ فيهِ: ما قرَّره ابنُ القَيِّم رحمه الله؛ فَقَد جعلَ الفَرْقَ بَيْنَهُما مِنْ سِتَّةِ أوجُهٍ؛ نُرْجِعُها إلى فَرْقَيْنِ اثنين[7]: أحَدهما: فرق لفظيٌّ، والآخر: معنويٌّ.

فأمّا اللَّفظيّ؛ فإنَّه يُقال: شَكٌّ مُريبٌ، ولا يقال: رَيْبٌ مُشَكِّكٌ، ويقال: رابَني أمرُ كذا، ولا يُقال: شكَّكَني. وأمّا المعنويّ؛ فَهوَ أنَّ الرَّيبَ بمعنى الانْزِعاج والقلَق، يُقال: رابَهُ إذا أزعجه وأقْلَقَه، ولا يكون هذا المعنى في الشَّكِّ؛ فإنَّك تقول: لا تُربِّ فلانًا، بمعنى: لا تُزعجْهُ ولا تُقْلِقْهُ، ولا يصح أنْ يُقالَ: لا تُشَكِّكْهُ! - بِذَلِكَ المَعْنى -. والرَّيْبُ فيه - مع الشَّكِّ - مَعْنَى التُّهْمَةِ، فَيُقال: رابني مجيئُهُ، ولا يقال: شكَّكَني مجيئُهُ. ولذا فَإنَّ الشَّكَّ أصلٌ للرَّيْبِ وسَبَبٌ فيهِ؛ فَإنَّ العَبْدَ يشُكُّ أولًا، ثُمَّ يوقِعُهُ الشَّكُّ في الرَّيْبِ.

المَجيءُ والإتْيانُ:

المجيء: إتيان محقَّق بعيدٌ عن عوامِلِ النَّقص، والإتيان: أعمُّ وأشملُ، قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِمَا جِئۡتَنَاۚ﴾ [الأعراف: 129]، ومجيء الرُّسل حدثٌ وتفاعلٌ

(1) السَّمين، الدُّرّ المصون: 1/ 86.
(2) السَّمين، الدُّرّ المصون: 1/ 86، والعسكريّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 264.
(3) النَّيسابوريّ، غرائب القرآن: 1/ 137.
(4) الزَّمخشريّ، الكشّاف: 1/ 34.
(5) الهرريّ، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 17/ 409.
(6) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 1/ 115.
(7) ابن القيِّم، بدائع الفوائد: 4/ 106.

وتعايشٌ مع الدَّعوة بالأدلَّة والبراهين، فالإتيان: بداية المَجيء زمانًا أو مكانًا، وقد لا يتمُّ، فلا يكون مجيئًا، بخلاف المجيء؛ فهو إتيانٌ محقَّق قريب زمانًا ومكانًا، كما أنَّ في المَجيءِ معنى المشقَّةِ والصُّعوبة، فكلُّ مجيءٍ إتيانٌ، وليس كلُّ إتيانٍ مجيئًا[1].

المَجيءُ تَمامُ الإتْيانِ وانْتِمالُهُ، والإتْيانُ مَجيءٌ بِسُهولَةٍ

المُجادَلَةُ والمُحاجَّةُ والمُحاوَرَةُ:

المُجادلَةُ في أصْلِ اللُّغَةِ تَدُلُّ على شدَّة الخُصومَة واسْتِمْرار مُراجعةِ الكَلام، بخِلاف المُحاجَّة فإنَّ مَعْناها: المُغالبَةُ بالحُجَّة والبُرْهان، وأمّا المُحاورَةُ فَهيَ مُراجعَةُ الكَلام.

في المُجادَلَةِ اسْتِمْرارٌ، وفي المُحاجَّةِ إرادَةُ الغَلَبَةِ، وفي المُحاوَرَةِ هُدوءٌ في المُراجَعَةِ

وقَد جاءَ ذِكْرُ المُجادَلَة في القُرآن الكريم كثيرًا، بَل إنَّ سورَةً من سوَرِه سُمّيت بالمُجادلَة، ومِن شَواهِدِ الجدالِ الواردِ في القرآنِ قولُ اللهِ تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النّحل: 125]. وورَدَ النَّهْيُ عَنِ الجدال إلّا بالتي هيَ أحسَنُ، كَما في قولِ اللهِ سُبْحانَه: ﴿۞وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ﴾ [العنكبوت: 46]، والجدالُ المَنْهيُّ عنهُ هو الذي يَجُرُّ إلى المُغاضبَةِ والمُشاتَمَة، وأمّا مُراجعَةُ الكلامِ بغَرَضِ الإقْناع والوُصول إلى الحَقِّ، فهذا مَنْدوبٌ إليهِ.

وأمّا المُحاجَّة؛ فقد وردَتْ في القرآنِ الكريم ثلاثَ عَشْرَةَ مرَّةً، منها في قولِ اللهِ تَعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [البقرة: 76]، فالمُحاجَّة: مُحاولَةُ كُلِّ واحدٍ أن يَغْلبَ خَصْمَهُ بِما يُقيمُهُ مِن بَراهينَ وحُجَجٍ، بقَصْدِ إقامَةِ الحَقِّ وبيانِه ونُصْرَتِه.

وأمّا المُحاوَرَةُ؛ فَقد ذُكِرَت في القرآنِ ثلاثَ مَرّات، منها في قولِ

(1) محمد جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (جيأ).

اللّه ﷻ: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾ [الكهف: 37]، وحقيقَتُها: مُراجعَةُ الكَلام، وهيَ تَخْلو من الشِّدَّةِ التي في المُجادَلَةِ.

والحاصِلُ: أنَّ المُجادَلَة والمُحاجَّة والمحاورَةَ تَجْتَمِعُ في مراجعَةِ الكلام، وتَنْفَرِدُ المُجادلَةُ بدلالَتِها على الشِّدَّة والاسْتِمْرار، وأمّا المُحاجَّة فَهيَ مُصاحَبَةُ الكلام لِلحُجَجِ التي يُراد بِها الغَلَبَةِ على الخَصْم، وأمّا المُحاورة ففيها هدوءٌ في مراجعَةِ الكلام[1].

السُّلْطانُ والبُرْهانُ:

البُرهان الحُجّة الفاصِلَةُ البيّنة، والسُّلطانُ أعمُّ

البُرهان: الحُجّة الفاصلة البيّنة، يقال: بَرهَن يُبَرهِنُ بَرهَنةً؛ إذا جاء بحُجّةٍ قاطعة لِدفع الخَصم، فهو مُبَرهِنٌ، ويُبَرهن بمعنى يُبَيِّن، وقد بَرهَنَ عليه؛ أي: أقام الحُجّة[2]، قال اللّه تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة: 111]، وفي الحديث: «والصَّدقة بُرْهانٌ»[3] أي: هي دَليلٌ على صحّة إيمانِ صاحبها؛ لطيب نَفسِه بإخراجها، وذلك لعَلاقة ما بين النّفس والمال.

أمّا السُّلطان عند العرب؛ فيُطلَق على الحُجَّة، ويُذكَّر ويُؤَنَّث. والسُّلطان: الحاكِم، وإنَّما سُمّيَ سُلطانًا؛ لأنَّه حُجَّةُ اللّه تعالى في أرضه، أو هكذا ينبغي أن يكون[4]، وقول اللّه تعالى: ﴿هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ [الحاقّة: 29] معناه: ذهبت عنّي حُجتي[5]؛ فالسُّلطان أعمُّ.

(1) داود، معجم الفروق الدلاليّة، ص: 178 - 181.
(2) ابن منظور، لسان العرب: (برهن).
(3) أخرجه مسلم في صحيحه، برقم: (223).
(4) الزّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 5/ 217.
(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 30/ 630.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والخمسون،
سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 51 ، 822 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-97-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 51 : المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-97-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4644027 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»